# سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عناصر الموضوع


| | |
|---|---|
| التعريف بسليمان عليه السلام | ٢٥٢ |
| ذكر سليمان عليه السلام في القرآن | ٢٥٤ |
| فضائل سليمان عليه السلام | ٢٥٥ |
| خصائص ملك سليمان عليه السلام | ٢٥٨ |
| مواقف من سيرة سليمان عليه السلام | ٢٦٤ |
| شبهات حول سليمان عليه السلام | ٢٧٥ |
| موت سليمان عليه السلام | ٢٨٠ |
| تدبير سليمان عليه السلام لملكه | ٢٨١ |
| الهدايات المستفادة من قصة سليمان | ٢٨٦ |

## التعريف بسليمان عليه السلام

### اسمه ونسبه:

سليمان بن داوود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن تخشون بن عمينا آداب بن إرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم [(١)].

ذلك ما يذكره المؤرخون من نسب سليمان عليه السلام، أما في كتاب الله فقد جاءت آيات تدل على أنه ابن لداوود عليه السلام وهي:

**الآية الأولى:** قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[سبأ: ١٣].

والخطاب هنا سليمان عليه السلام [(٢)]؛ إذ الآل في اللغة يستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصًا ذاتيًّا إمّا بقرابة قريبة، أو بموالاة[(٣)]. ففي هذه الآية دلالة على أنه من أهله وقرابته.

**والآية الثانية:** قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

فالمعنى أن الله تعالى وهب لداوود سليمان ابنًا [(٤)]، وكثيراً ما يذكر الله تعالى الأبناء بلفظ الهبة ، كما قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[الشورى: ٤٩] .

وقال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾[مريم: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾[مريم: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولا يتعارض هذا مع ما ورد في سورة الأنعام من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

وسواء أرجعنا الضمير إلى نوح عليه السلام أم إلى إبراهيم عليه السلام فلا تنافي بين كونه ابناً لداوود عليه السلام، وأما نوح عليه السلام فكل من جاء بعده فهو من ذريته كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] ، وأما إبراهيم عليه السلام فهو جد لداوود كما رأينا في نسبه فهو من ذريته.

**الآية الثالثة:** قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[النمل: ١٦].

فالأصل أن الولد يرث أباه؛ قال السعدي: «أي: ورث علمه ونبوته فانضم علم أبيه إلى

(١) انظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٢/ ٢٣١، قصص الأنبياء، ابن كثير ٢/ ٢٨٤.
(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور٢٢/ ١٦٣.
(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٩٨.
(٤) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٥٠٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٦٤.

علمه، فلعله تعلم من أبيه ما عنده من العلم مع ما كان عليه من العلم وقت أبيه»[1].

فظهر من مجموع دلالات هذه الآيات الثلاث أن سليمان عليه السلام ابن لداوود عليه السلام.

## زمانه:

إن الناظر في سياق الآيات القرآنية التي تتحدث عن سليمان عليه السلام يجد أن السياق لا يخرج عن أحد ثلاثة أمور:

**الأول:** أن يكون ذكره مقترناً بأبيه داوود عليه السلام، ومن هذا الاقتران ما يدل دلالة قطعية على اجتماعهما في مكان واحد وزمن واحد، قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾[الأنبياء: ٧٨].

فحكمهما في قضية واحدة في مكان واحد دليل على وجودهما في زمن واحد[2].

**الثاني:** أن يذكر سليمان عليه السلام بعد ذكر أبيه داوود، ومثال ذلك ورود قصته بعد قصة أبيه في سورة ص.

**الثالث:** أن يذكر سليمان عليه السلام منفردا، كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾[البقرة: ١٠٢].

ومن مجموع ما سبق يظهر لنا جليًّا أن سليمان عليه السلام عاش مدة من الزمن في حياة أبيه داوود عليه السلام، وبلغ من العمر ما يؤهله لأن يحضر مجلس قضاء والده، ويستدرك عليه بعض أحكامه، وبعد وفاة والده ورثه في الملك والنبوة، واستقل بذلك، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦]، وما يهمنا هنا أن الوراثة لا تكون إلا بعد موت المورث[3]، أما ماهية هذه الوراثة فسنذكره عند الكلام عن فضائله عليه السلام.

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٢.
(٢) انظر: جامع البيان، الطبري١٦/ ٣٢٢، معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٢٩٨.
(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٦٦.

## ذكر سليمان عليه السلام في القرآن

**ورد ذكر سليمان عليه السلام في القرآن الكريم (١٧) مرة، في (٧) سور.**

وأما قصته عليه السلام فقد وردت في السور الآتية:

| السورة | الآيات |
|---|---|
| البقرة | ١٠٢ |
| الأنبياء | ٧٨-٨٢ |
| النمل | ١٥-٤٤ |
| سبأ | ١٢-١٤ |
| ص | ٣٠-٤٠ |

## فضائل سليمان عليه السلام

حبا الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام بفضائل جليلة، منها:

١. العلم.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾[النمل: ١٥].

وهو علم مخصوص غير النبوة؛منطق الطير والدواب، ومعرفة القضاء.

قال الطبري: «وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه»(١).

وقال السمعاني:« علم القضاء وعلم منطق الطير ومنطق الدواب »(٢).

٢. وراثة النبوة.

قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾[النمل: ١٦].

ولكن يا ترى ما هو هذا الميراث الذي ورثه هذا النبي الكريم ؟

إن هذا الميراث قد ذكره المفسرون عند كلامهم على هذه الآية، وفي ذلك يقول ابن جرير الطبري: «يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾[النمل: ١٦] أباه داوود العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والملك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داوود دون سائر ولد أبيه»(٣).

فالوراثة إذن وراثة للعلم والملك؛ ولكن لم لا يكون ورث مع ذلك مال أبيه، مع أنه المتبادر إلى الأذهان من لفظ الوراثة والميراث؟

يجيب على ذلك الإمام ابن كثير ذلك بقوله: «وليس المراد وراثة المال؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داوود، فإنه قد كان لداوود مائة امرأة، ولكن المراد بذلك وراثة الملك والنبوة؛ فإن الأنبياء لا تورث أموالهم، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: (نحن معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة)(٤)»(٥).

ومما يؤكد هذا ويؤيده أنه قد ورد الاستعمال القرآني للوراثة في وراثة العلم والدين دون المال في غير ما آية من كتاب الله تعالى منها:

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[الأعراف: ١٦٩].

(١) جامع البيان، الطبري ١٨/ ٢٤.
(٢) تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٨١.
(٣) جامع البيان، الطبري ١٨/ ٢٤.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا نورث ما تركنا صدقة) ٨/ ١٥٠، ٦٧٣٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا نورث ما تركنا فهو صدقة) ٣/ ١٣٧٩، رقم ١٧٥٨.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٢.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[فاطر: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾[الشورى: ١٤].

فظهر مما تقدم أن سليمان عليه السلام ورث علم أبيه ونبوته وملكه.

٣. تعليم منطق الطير.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[النمل: ١٦].

يقول ابن كثير: «أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر -فيما علمناه -مما أخبر الله به ورسوله»[(١)].

٤. الشكر.

وقد ذكر الله تعالى شكر هذا النبي في ثلاث آيات:

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[النمل: ١٩].

قال الألوسي: «أي اجعلني أزع شكر نعمتك أي أكفه وأرتبطه لا ينفلت عني وهو مجاز عن ملازمة الشكر والمداومة عليه فكأنه قيل: رب اجعلني مداوماً على شكر نعمتك»[(٢)].

وهنا كان شكره عليه السلام على سماع قول النملة، وفهم خطابها.

**الثانية:** قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[النمل: ١٦].

قال الزمخشري: «قوله: إنّ هذا لهو الفضل المبين قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة»[(٣)].

فشكر ربه سبحانه على ما وهب له من علم وما آتاه الله من الملك.

**الثالثة:** قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل: ٤٠].

قال الطبري: «هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إلي عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله علي وعطائه الذي جاد به علي ليختبرني ويمتحنني، أأشكر ذلك من فعله علي، أم

(١) المصدر السابق.

(٢) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٧٦.

(٣) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٥٤.

أكفر نعمته علي بترك الشكر له؟»[1].

وفي هذا الموضع كان شكره على نعمة التسخير والتمكن من إحضار العرش بين يديه في زمن يسير جدًّا.

٥. الفهم.

قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[الأنبياء: ٧٩].

والفهم أخص من العلم[2].

قال الزبيدي: «فإن العلم مطلق الإدراك، وأما الفهم فهو سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها»[3].

وفهم سليمان عليه السلام إمّا إنه قد جعل الله له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ما يعرض له من القضايا، وإمّا بأن ألقى ذلك في روعه إلهامًا، أو بأن يوحى إليه بوحي خاص[4].

وظهرت عليه هذه الصفة في زمان أبيه، وقد ذكر في القرآن الكريم ما يدل على ذلك في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[الأنبياء: ٧٨، ٧٩].

فيذكر ربنا سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين قضية حدثت في زمان داوود عليه السلام، يلخصها العلامة السعدي بقوله: «إذ تحاكم إليهما صاحب حرث، نفشت فيه غنم القوم الآخرين، أي: رعت ليلاً فأكلت ما في أشجاره، ورعت زرعه، فقضى فيه داوود عليه السلام ، بأن الغنم تكون لصاحب الحرث، نظراً إلى تفريط أصحابها، فعاقبهم بهذه العقوبة، وحكم فيها سليمان بحكم موافق للصواب، بأن أصحاب الغنم يدفعون غنمهم إلى صاحب الحرث فينتفع بدرها وصوفها ويقومون على بستان صاحب الحرث، حتى يعود إلى حاله الأولى، فإذا عاد إلى حاله، ترادًّا ورجع كل منهما بما له، وكان هذا من كمال فهمه وفطنته عليه السلام»[5].

٦. الأوبة.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

قال السعدي: «أي: رجّاعًا إلى الله في جميع أحواله، بالتأله والإنابة، والمحبة والذكر والدعاء والتضرع، والاجتهاد في مرضاة الله، وتقديمها على كل شيء»[6].

وقد ذكر الله هذه الصفة تعليلًا لمدح

(١) جامع البيان، الطبري ١٨/ ٧٤.
(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٢/ ٢٧٤.
(٣) تاج العروس، الزبيدي ٣٣/ ٢٢٤.
(٤) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٦٤٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٥٢٨. وانظر: جامع البيان، الطبري ١٦/ ٣٢٢، تفسير القرآن، السمعاني ٣/ ٣٩٤.
(٦) تيسير الكريم الرحمن ص ٧١٢.

سليمان عليه السلام بكونه نعم العبد، فكل من كان كثير الرجوع إلى الله ناله حظه من هذا المدح الإلهي.

وفي هذا يقول الرازي: «وهذه الكلمة للتعليل، فهذا يدل على أنه إنما كان نعم العبد لأنه كان أوابا، فيلزم أن كل من كان كثير الرجوع إلى الله تعالى في أكثر الأوقات وفي أكثر المهمات كان موصوفا بأنه نعم العبد وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه»[1].

## خصائص ملك سليمان عليه السلام

لا بد لكل نبي يرسل إلى قوم أن يؤيده ربه سبحانه ببرهان يظهر به صدقه ويكون عنوان هداية لمن يريد سبحانه أن يهديه سواء السبيل، فيلهمه رشده، وفي السنة ما يدل على ذلك.

فعن أبي هريرة، قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: **(ما من الأنبياء نبيٌّ إلّا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنّما كان الّذي أوتيت وحيًا أوحاه اللّه إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)**[2].

وعموم هذا الحديث يدخل فيه نبي الله سليمان عليه السلام؛ فيا ترى ما هو برهان هذا النبي ودليل صدقه على نبوته ؟

لقد وهبه ربه جل في علاه ملكًا خصه فيه بخصائص تدل على نبوته، ولم تكن لغيره من بعده، وهي:

١. تسخير الجن والشياطين.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من سخر لسليمان عليه السلام نوعان:

**النوع الأول:** بعض الشياطين الذين هم

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦/ ٣٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف بنزل الوحي، ٦/ ١٨٢، رقم ٤٩٨١، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ١/ ١٣٤، رقم ١٥٢.

الكفار من الجن[١]، وهؤلاء كانوا على قسمين:

**القسم الأول:** من امتثل أوامر سليمان عليه السلام، فكان بعض هؤلاء الممتثلين يقومون بالغوص في البحار كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

أي: يغوصون في أعماق البحار لاستخراج اللآلئ و الدرر وغير ذلك مما يطلب منهم[٢].

وصنف آخر منهم لهم عمل غير الغوص الذي هو البناء، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧].

فهؤلاء يقومون ببناء المدن والقصور ويخترعون الصنائع العجيبة[٣].

**والقسم الثاني:** هم العصاة المتمردون من الشياطين، وهؤلاء يقول الله فيهم: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾[ص: ٣٨].

قال ابن كثير: «أي: موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى»[٤].

والذي جعلنا نجزم بأن هؤلاء هم الكفار من الجن دليلان:

**الأول:** أن الكافر من الجن يسمى شيطانًا[٥].

**والثاني:** في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾[الأنبياء: ٨٢].

يقول ابن كثير: «أي: يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحت قهره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه»[٦].

فحراسة الله تعالى له عن أن يناله منهم سوء يدل على كفرهم إذ إن من يقدم ذلك يدل على بغضه للرسول ورسالته ، وهذا من المكفرات المعلومة والله أعلم.

**النوع الثاني:** بعض مؤمني الجن.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢].

فبين تعالى أنه سخر بعضاً من مؤمني الجن للعمل بين يدي سليمان عليه السلام، وكانت أعمالهم ما ذكره الله في قوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣].

فهم يعملون له ما يلي:

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٦/ ٨١.
(٢) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٤٩٥.
(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٦/ ٨٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٧٣.
(٥) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٦/ ١٠٩، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٩/ ٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٥٠٠.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٣٥٩.

**المحاريب:** وهي جمع محراب، والمحراب: كل بناء حسن، وأشرف شيء فيه وصدره سواء كان مسجداً أم بيتاً أم مصلى[١].

**التماثيل:** وهي جمع تمثال، والتمثال: (كل ما صوّر على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان)[٢].

**الجفان:** جمع جفنة، وهي: ما يوضع فيه الطعام، ولعظمها شبهها بالجواب التي هي جمع جابية، وهي البركة التي يجبى إليها الماء[٣].

**القدور:** ما يطبخ فيها الطعام، ولعظمها كانت ثابتة على الأثافي لا تنزل عنها[٤].

٢. تسخير الريح.

فقد سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام الريح.

قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨١].

ووصفها الله تعالى بصفات:

**الأولى:** أنها ريح عاصفة، بمعنى أنها شديدة الهبوب[٥].

**الثانية:** أنها رخاء، قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[ص: ٣٦].

والمعنى: أنها ريح لينة لا تزعزع ولا تعصف[٦].

فإن قيل: كيف يمكن الجمع بين الوصفين المتناقضين؟

فالجواب: ذكر المفسرون للجمع وجوهًا:

**الأول:** إن المراد بالعاصفة أنها في قوة العاصفة ولا تعصف.

**والثاني:** إنها تكون تارة رخاء، وتارة عاصفة على ما يريده سليمان عليه السلام ويشتهيه[٧].

والظاهر من السياق أنها تكون بحسب ما يريده سليمان عليه السلام ، يقول ابن عاشور: (..وذلك باختلاف الأحوال فإذا أراد الإسراع في السير سارت عاصفة ، وإذا أراد اللين سارت رخاء، والمقام قرينة على أن المراد المواتاة لإرادة سليمان كما دل عليه قوله تعالى:﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ﴾ في الآيتين المشعر باختلاف مقصد سليمان منها كما إذا كان هو راكباً في البحر ؛ فإنه يريدها رخاء لئلا تزعجه ، وإذا أصدرت مملكته بضاعة أو اجتلبتها سارت عاصفة ، وهذا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/ ٢٣٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٥٠٠.
(٢) محاسن التأويل، القاسمي٨/ ١٣٧.
(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي٨/ ١٣٧، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٧٦.
(٤) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/ ٢٤٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٥٠٠.
(٥) معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٣٠١.
(٦) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٤٩٧.
(٧) انظر: المصدر السابق.

بين بالتأمل)[1].

**الثالثة:** أنها تجري حيثما يريد سليمان عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾[ص: ٣٦].

أي: إنها تجري حيثما أراد، وهذا يدل على التعميم في الأمكنة التي يريد الذهاب إليها[2].

ولكن في الآية الأخرى يقول تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

فظاهر هذه الآية أن جريها مخصوص بكونه إلى الأرض التي بورك فيها، فكيف الجمع بينهما ؟

يقول العلامة الشنقيطي: «قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾[ص: ٣٦] يدل على أنها تجري بأمره حيث أراد من أقطار الأرض، وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]؛ لأن مسكنه فيها وهي الشام، فترده إلى الشام. وعليه فقوله: حيث أصاب في حالة الذهاب. وقوله: إلى الأرض التي باركنا فيها في حالة الإياب إلى محل السكنى، فانفكت الجهة فزال الإشكال»[3].

**الرابعة:** سرعة جري هذه الريح المسخرة، وهذا ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[سبأ: ١٢].

قال الطبري: «وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر»[4].

وقال ابن كثير: «من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر، قال الحسن البصري: كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل بإصطخر يتغذى بها، ويذهب رائحاً من إصطخر فيبيت بكابل، وبين دمشق وإصطخر شهر كامل للمسرع، وبين إصطخر وكابل شهر كامل للمسرع»[5].

**٣. إسالة النحاس.**

قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾[سبأ: ١٢].

قال البيضاوي: «النحاس المذاب أساله له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع، ولذلك سماه عينًا وكان ذلك باليمن»[6].

**٤. تعليمه منطق الطير.**

قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٧/ ١٢٣.
(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ٢٣٥.
(٣) أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ٢٣٥.
(٤) جامع البيان، الطبري ١٩/ ٢٢٧.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٤٩٩.
(٦) أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/ ٢٤٣.
وانظر: جامع البيان، الطبري ١٩/ ٢٢٩.

﴿ٱلْمُبِينُ﴾[النمل: ١٦].

قال ابن كثير: «أخبر سليمان بنعم الله عليه، فيما وهبه له من الملك التام، والتمكين العظيم، حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير. وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضا، وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر -فيما علمناه -مما أخبر الله به ورسوله»(١).

٥. تنوع جنوده.

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل: ١٧].

فهذه الآية الكريمة تبين أن لسليمان عليه السلام أنواعاً من الجنود، جند من الإنس، وجند من الجن، وجند من الطير.

قال ابن كثير: «وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني: ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن وهم بعدهم يكونون في المنزلة، والطير ومنزلتها فوق رأسه، فإن كان حرًّا أظلته منه بأجنحتها، وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل: ١٧]. أي: يكف أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له»(٢).

وقد ذكر الله تعالى نموذجًا واحدًا لكل نوع من هذه الجنود:

فمن الطير ذكر سبحانه الهدهد، قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[النمل: ٢٠].

ومن الجن العفريت المذكور في قصة الملكة بلقيس، قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل: ٣٩].

ومن هذه الآية يتبين لنا بعض صفات هذا العفريت وهي السرعة الفائقة، والقوة والأمانة(٣).

ومن الإنس: الذي عنده علم من الكتاب، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[النمل: ٤٠].

وأهم ما يتميز به هذا الجندي من الإنس: العلم ومعرفة اسم الله الأعظم وإجابة الدعاء(٤).

وقبل أن ننهي الكلام على ملك سليمان عليه السلام وما اختصه الله تعالى به من خصائص نذكر مسألتين لهما به ارتباط:

**المسألة الأولى: كم كان عمر سليمان عليه السلام حينما أصبح ملكاً؟**

يذكر المؤرخون في ذلك قولين:

**الأول:** إنه آل إليه الملك، وهو ابن اثنتي

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٢.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٣.
وانظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ٢٥، معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٤٩٤.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٢.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦.

عشرة سنة[1].

**الثاني:** كان عمره اثنتين وعشرين سنة[2].

**المسألة الثانية: إلى أي البلاد وصل ملك سليمان عليه السلام وما هي حدود مملكته؟**

فالذي يمكن أن نجزم به أن هذا الملك كان على بني إسرائيل في فلسطين والشام إذ هي الأرض المباركة[3]، والذي قد كان ورثه عن أبيه، وهذا ظاهر من قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

ووجه الاستدلال: أن حرف الجر (إلى) هنا لانتهاء الغاية في المكان[4]، ويلزم من ذلك أن يوجد مكان هو ابتداء الجري منه، فتكون فلسطين هي مبدأ الرحلة والشام نهايتها، والفعل المضارع يدل على التجدد والحدوث[5]، فليس هذه رحلة واحدة بل هي متكررة، ولا يمكن لملك عظيم حازم فضلاً عن نبي مؤيد بالوحي أن تكون رحلاته متجددة في التنزه، بل هي بتفقد الملك أليق وبه ألصق ، فإذا تقرر ما سبق فقد امتاز ملكه عليه السلام بتسخير الريح والجن والشياطين وغير ذلك مما ذكرناه سابقاً، لا بعظم رقعة الأرض.

أما ما يذكر من أنه عليه السلام ملك الأرض كلها، فهذا قول لا دليل عليه، وظاهر قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ يرده؛ إذ كيف يكون تحت ملكه من لا يعرف خبره إلا من هدهد مع سعة مملكة سبأ وعظمها وقربها النسبي، والله أعلم.

(١) انظر: البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدسي ٣/ ١٠٣، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١/ ٢٠٠.
(٢) تاريخ ابن خلدون ٢/ ١١٢.
(٣) انظر: روح المعاني، الألوسي ٩/ ٦٨.
(٤) انظر: همع الهوامع، السيوطي ٢/ ٤١٤.
(٥) انظر: الطراز لأسرار البلاغة، يحيى بن حمزة ٢/ ١٤٣، مفتاح العلوم، السكاكي ص ٢٠٧

## مواقف من سيرة سليمان عليه السلام

بعد أن تكلمنا على خصائص ملك سليمان عليه السلام نذكر ثلاثة مواقف من سيرته في النقاط الآتية:

### أولًا: قصة سليمان عليه السلام مع النملة:

ركب سليمان عليه السلام في تواضع لله سبحانه وجموع كثيرة من الإنس، وكانوا هم الذين يلونه، والجن بعدهم في المنزلة، أما الطير فتكون فوق رأسه، فإن كان حَرًّا أظلته منه بأجنحتها، وقد جعل لكل صنف من جنده من يكف أولهم على آخرهم؛ لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له [1].

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

ثم انطلق بهذا الجيش العظيم، ولم يبين لنا سبحانه أين مقصدهم ولا جهتهم التي يقصدون ؛ إذ القصة مسوقة لبيان العبرة من قصة النملة فحسب.

واصل الجيش بقيادة نبي الله سليمان سيره حتى مر بمن معه من الجن والإنس والطير على وادي النمل.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ [النمل: ١٨].

وهذا الوادي قيل: إنه في الطائف، وقيل: إنه بالشام [2].

والذي يظهر من إضافة الوادي إلى النمل، أن هذا الوادي كثير النمل حتى كأنه مستحق للنمل دون غيرهم مما يعيش فيه [3].

وكما هي عادة النمل في النهار الانتشار لجلب رزقها، وقد جعلن لهن من يحرسهن عن أن يصل إليهن ما يضرهن ؛ إذ الغالب في الوادي أن يكون مسلوكاً كما يظهر من حراسة النملة لقومها، وهنا أحست هذه النملة، فقد أدركت مجيء الجيش، وأنه لسليمان وجنوده وأدركت كثرتهم، وأن عليها وعلى النمل أن يتجنبوا الطريق، ويدخلوا مساكنهم [4].

وهنا نادت، فقالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

فجمعت في هذه العبارة الوجيزة أحد عشر جنسًا من صنوف الكلام.

قال الزركشي: «فجمع في هذه اللفظة أحد عشر جنساً من الكلام نادت وكنت ونبهت وسمعت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت؛ فالنداء: (يا) والكناية: (أي)، والتنبيه: (ها)، والتسمية: (النمل)، والأمر: (ادخلوا)، والقصص: (مساكنكم)، والتحذير: (لا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٣.

(٢) زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٣٥٦.

(٣) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي ٦/ ٣٣٣.

(٤) أضواء البيان، الشنقيطي ٨/ ٩.

يحطمنكم)، والتخصيص: (سليمان)، والتعميم: (جنوده)، والإشارة: (وهم)، والعذر: (لا يشعرون)»[1].

فلما سمع نبي الله سليمان هذا النداء تبسم، قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[النمل: ١٩].

فإن قيل: لم تبسم نبي الله سليمان من قولها؟

ذكر المفسرون وجهين في ذلك:

**الأول:** إنما تبسم سروراً بما ألهمت من حسن حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة ، وابتهاجاً بما خصه الله تعالى به من إدراك ما هو همس بالنسبة إلى البشر وفهم مرادها منه.

**الثاني:** أن يكون ذلك تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها.

ورجح الألوسي الوجه الأول لمناسبته لما بعده من الدعاء الذي سأل فيه ربه أن يوفقه لشكر نعمته[2].

وبعد تبسمه عليه السلام قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

قال ابن كثير: «أي: ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها علي، من تعليمي منطق الطير والحيوان، وعلى والدي بالإسلام لك، والإيمان بك، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾[النمل: ١٩] أي: عملًا تحبه وترضاه، ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩] أي: إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك، والرفيق الأعلى من أوليائك»[3].

وقال أبو السعود: «أي: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي واكفّه وأرتبطه بحيث لا ينفلت عنّي حتّى لا أنفكّ عن شكرك أصلًا»[4].

## ثانيًا: قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد:

تبدأ أحداث هذه القصة حينما ذهب سليمان عليه السلام يتفقد الطير؛ ليعرف من هو موجود منها ومن هو غائب، فلم ير الهدهد، فسأل عنه: لماذا لا أرى الهدهد ؟ أهناك شيء يستره مما هو أكبر منه حجماً أم هو غائب؟[5].

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٢٧.
(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٧٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٣.
(٤) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٦/ ٢٧٩.
(٥) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٧٧.

فلما تيقن سليمان عليه السلام من غياب الهدهد، وكان غياباً بلا إذن كما هو ظاهر السياق توعده قائلًا: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾[النمل: ٢١].

فأقسم على أن يعذبه عذابًا شديدًا، وكان تعذيبه للطير فيما ذكر نتف ريشه[١]، أو ليقتلنه أو ليأتينه بسلطان بين وحجة واضحة في عذره[٢].

لم يمض على الهدهد زمان طويل في غيبته، بل جاء على وجه السرعة إلى سليمان عليه السلام[٣].

قال تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[النمل: ٢٢]. فعاتبه على مغيبه، فقال معتذراً: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢][٤].

أي: عندي من العلم علم ما أحطت به على علمك الواسع وعلى درجتك فيه، وابتداء كلامه بذلك لترويجه عنده عليه السلام، وترغيبه في الإصغاء إلى اعتذاره واستمالة قلبه، قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢].

أي: القبيلة المعروفة في اليمن بخبر خطير متيقن وشأن كبير[٥]، فأعلم سليمان ما لم يكن يعلمه، ودفع عن نفسه ما توعده من العذاب والذبح[٦].

ثم بدأ يفصل ما أجمل فقال: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾[النمل: ٢٣].

أي: تتصرف بهم ولا يعترض عليها أحد[٧].

وقال ابن عاشور: «وتنكير امرأة وهو مفعول أول لـ(وجدت) له حكم المبتدأ فهو كالابتداء بالنكرة إذا أريد بالنكرة التعجب من جنسها كقولهم: بقرة تكلمت، لأن المراد حكاية أمر عجيب عندهم أن تكون امرأة ملكة على قوم، ولذلك لم يقل: وجدتهم تملكهم امرأة»[٨].

وقال: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] ؛ أي: وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملوك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة[٩].

وقال: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[النمل: ٢٣] أي: سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب، وأنواع الجواهر واللآلئ[١٠].

ولكن لماذا استعظم الهدهد عرش

(١) جامع البيان، الطبري ١٨/ ٣٣.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٥، نظم الدرر، البقاعي ١٤/ ١٥٠.
(٣) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ٢٢٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٦.
(٤) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ١٥٣.
(٥) انظر: روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٨٢، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٤.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ١٨١.
(٧) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٨٣.
(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/ ٢٥٢.
(٩) جامع البيان، الطبري ١٨/ ٣٩.
(١٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٧.

بلقيس مع ما يشاهده من ملك سليمان؟

قال الألوسي: «واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام إما بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك، وجوز أن يكون ذلك، لأنه لم يكن لسليمان عليه السلام مثله وإن كان عظيم الملك فإنه قد يوجد لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون للملك الذي هم تحت طاعته. وأيًّا ما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام لما ذكر أولًا من ترغيبه عليه السلام في الإصغاء إلى حديثه، وفيه توجيه لعزيمته عليه السلام نحو تسخيراً ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها»[1].

ثم قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

قال أبو السعود: «أي: يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى، وزين لهم الشيطان أعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي، فصدهم بسبب ذلك عن سبيل الحق والصواب؛ فإن تزيين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم، ومن ضرورته نسبة طريق الحق إلى العوج، فهم بسبب ذلك لا يهتدون إليه»[2].

ثم قال: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [النمل: ٢٥].

أي: لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها[3].

وقال: ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النمل: ٢٥].

قال السعدي: «يعلم الخفي الخبيء في أقطار السماوات وأنحاء الأرض، من صغار المخلوقات وبذور النباتات وخفايا الصدور، ويخرج خبء الأرض والسماء بإنزال المطر وإنبات النباتات، ويخرج خبء الأرض عند النفخ في الصور وإخراج الأموات من الأرض ليجازيهم بأعمالهم»[4].

وقال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥]؛ أي: يعلم ما يخفيه العباد، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال[5].

وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [النمل: ٢٦].

أي: لا تنبغي العبادة والإنابة والذل والحب إلا له؛ لأنه المألوه لما له من الصفات الكاملة والنعم الموجبة لذلك؛ ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦].

الذي هو سقف المخلوقات ووسع

(١) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٨٥.

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود٦/ ٢٨١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٧.

الأرض والسماوات، فهذا الملك عظيم السلطان كبير الشأن هو الذي يذل له ويخضع ويسجد له ويركع، فسلم الهدهد حين ألقى إليه هذا النبأ العظيم وتعجب سليمان كيف خفي عليه[1].

وقال الخازن: «والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها، من دون الله ؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض، عالم بجميع المعلومات، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[النمل: ٢٦] أي: هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره»[2].

وقد أحسن الهدهد في انتقاله من خبر إلى خبر، وكان سرده لذلك في غاية الترابط.

قال أبو حيان: «وما أحسن انتقالات هذه الأخبار بعد تهدد الهدهد وعلمه بذلك:

أخبر أولًا: باطلاعه على ما لم يطلع عليه سليمان، تحصنا من العقوبة بزينة العلم الذي حصل له، فتشوف السامع إلى علم ذلك.

ثم أخبر ثانيًا: بتعلق ذلك العلم، وهو أنه من سبأ، وأنه أمر متيقن لا شك فيه، فزاد تشوف السامع إلى سماع ذلك النبأ.

ثم أخبر ثالثًا: عن الملك الذي أوتيته امرأة، وكان سليمان عليه السلام قد سأل الله أن يؤتيه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده.

ثم أخبر رابعًا: ما ظاهره الاشتراك بينه وبين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا شأن النساء أن تملك فحول الرجال، وهو قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[النمل: ٢٣] وكان سليمان له بساط قد صنع له، وكان عظيمًا.

ولما لم يتأثر سليمان للإخبار بهذا كله، إذ هو أمر دنيوي، أخبره خامسا: بما يهزه لطلب هذه الملكة، ودعائها إلى الإيمان، وإفراده بالعبادة فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[النمل: ٢٤]»[3].

وقال ابن عاشور: «وقد جمع هذا القول الذي ألقي إلى سليمان أصول الجغرافية السياسية من صفة المكان والأديان، وصبغة الدولة وثروتها، ووقع الاهتمام بأخبار مملكة سبأ ؛ لأن ذلك أهم لملك سليمان إذ كانت مجاورة لمملكته يفصل بينهما البحر الأحمر، فأمور هذه المملكة أجدى بعمله»[4].

وقال الشنقيطي: «ففي هذا السياق عشر قضايا يدركها الهدهد ويفصح عنها لنبي الله سليمان:

**الأولى**: إدراكه أنه أحاط بما لم يكن في علم سليمان.

**الثانية**: معرفته لسبأ بعينها دون غيرها،

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٤.
(٢) لباب التأويل، الخازن ٣/ ٣٤٤.
(٣) البحر المحيط، أبو حيان٨/ ٢٢٨.
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/ ٢٥٤.

ومجيئه منها بنبأ يقين لا شك فيه.

**الثالثة:** معرفته لتولية المرأة عليهم مع إنكاره ذلك عليهم.

**الرابعة:** إداركه ما أوتيته سبأ من متاع الدنيا من كل شيء.

**الخامسة:** أن لها عرشًا عظيمًا.

**السادسة:** إدراكه ما هم عليه من السجود للشمس من دون الله.

**السابعة:** إدراكه أن هذا شرك بالله تعالى.

**الثامنة:** أن هذا من تزيين الشيطان لهم أعمالهم.

**التاسعة:** أن هذا ضلال عن السبيل القويم.

**العاشرة:** أنهم لا يهتدون»[1].

ولما فرغ الهدهد من كلامه، وأبدى عذره في غيبته، أخر سليمان أمره إلى أن يتبين له صدقه من كذب[2]، فقال: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

ولا يتسرع سليمان في تصديقه أو تكذيبه ولا يستخفه النبأ العظيم الذي جاءه به، إنما يأخذ في تجربته، للتأكد من صحته . شأن النبي العادل والملك الحازم[3].

فكان اختباره أن يرسل لهم كتاباً مع الهدهد، وينتظر الجواب، فإن جاءه الجواب دل على صدقه وإلا فإنه يكون كاذباً، قال: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨].

أي: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تنح عنهم فكن قريباً منهم، فانظر ماذا يردون من الجواب[4].

## ثالثًا: قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ:

امتثل الهدهد أمر سليمان عليه السلام، وحمل الكتاب إلى ملكة سبأ، فوجدها في حال خلوتها، فألقاه إليها وتنحى عنها لينظر ماذا يكون جوابها عنه طاعة لمن أرسله به[5].

ففتحت الكتاب، وقرأته وعرفت محتواه[6]، ثم خرجت من خلوتها إلى أشراف قومها، وأخبرت قومها بالكتاب ومحتواه: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٩ - ٣٠].

فهو كتاب مختوم حسن مضمونه وما فيه، ومن عند ملك كريم، ووصل على نهج غير معتاد[7].

(١) أضواء البيان، الشنقيطي٨/ ٨.
(٢) البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ٢٣٢.
(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب٥/ ٢٦٣٩.
(٤) معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٥٠١.
(٥) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٩٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٨٨.
(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٢٥٨.
(٧) انظر: الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٦٣، إرشاد العقل السليم، أبو السعود٦/ ٢٨٣.

فاسم سليمان عنوان الكتاب وخاتمه[1]، أما مضمونه فهو تسمية الله، ثم نهاهم عن الامتناع عن إجابته؛ فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر، وأمرهم المجيء إليه طائعين منقادين[2].

وبعد أن عرفتهم محتوى كتاب نبي الله سليمان عليه السلام، استشارتهم فيم يكون العمل وكيف يكون الرد عليه: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾[النمل: ٣٢].

قال الألوسي: «أي: أشيروا عليّ بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث لي وذكرت لكم خلاصته، وقصدت بما ذكرت استعطافهم وتطييب نفوسهم ليساعدوها ويقوموا معها ، وأكدت ذلك بقولها: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾؛ أي: ما أقطع أمراً من الأمور المتعلقة بالملك إلا بمحضركم وبموجب آرائكم، والإتيان بـ(كان) للإيذان بأنها استمرت على ذلك، أو لم يقع منها غيره في الزمن الماضي فكذا في هذا»[3].

فكان جوابهم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[النمل: ٣٣]؛ أي: نحن ذوو القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، وأرادوا بالقوة: قوّة الأجساد وقوّة الآلات والعدد، بالبأس: النجدة والشجاعة والبلاء في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فمرينا نأتمر لأمرك[4].

فكان ردها: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾[النمل: ٣٤]؛ أي إذا دخلوا بلداً عنوة خربوه، وقصدوا من فيها من الولاة والجنود، والأشراف والكبراء فأهانوهم غاية الهوان، إما بالقتل أو بالأسر؛ كي يستقيم لهم الأمر[5].

وهذا القول منها تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية، وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم، ثم أن الحرب سجال لا تدري عاقبتها، فقد تكون الدائرة عليهم[6].

وكان هذا القول منها رحمها الله صائبًا؛

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي٣/ ٣٦٠، أنوار التنزيل، البيضاوي ٤/ ١٥٩، فتح القدير، الشوكاني ٤/ ١٥٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور١٩/ ٢٥٩.

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٥٠٢، لباب التأويل، الخازن ٣/ ٣٤٥.

(٣) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٩٢.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ٥٠، الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٦٤.

(٥) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٥٠٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٠.

(٦) أنوار التنزيل، البيضاوي٤/ ١٦٠.

ولهذا صدقها الله تعالى فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[النمل: ٣٤] أي: كما قالت هي يفعل الملوك[١].

ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة، وبينت لهم ما في دخول الملوك إلى أرضهم من المفسدة، أوضحت لهم وجه الرأي عندها، وصرحت لهم بصوابه[٢]، قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥].

قال البغوي: «أي: وإني مرسلة إليهم بهدية، والهدية هي العطية على طريق الملاطفة، وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد سيست وساست، فقالت للملأ من قومها: إني مرسلة إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكي وأختبره بها أملك هو أم نبي؟ فإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف، وإن كان نبيا لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا إلا أن نتبعه على دينه»[٣].

وأما الهدية فقد ذكروا في تعيينها أقوالا مضطربة متعارضة، وذكروا من حالها ومن حال سليمان حين وصلت إليه الهدية، وكلامه مع رسلها ما الله أعلم به[٤].

ولعل أقرب ما قيل في ذلك ما ذكره ابن كثير بقوله: «ذكر غير واحد من المفسرين، من السلف وغيرهم: أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك. وقال بعضهم: أرسلت بلبنة من ذهب. والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب»[٥].

أخذ رسول الملكة بلقيس الهدية، واتجه بها إلى الشام حيث كان سليمان عليه السلام، فلما وصل إليه كان جوابه ما قصه الله تعالى عنه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[النمل: ٣٦].

قال ابن كثير: «وقال منكرًا عليهم: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ أي: أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم وملككم؟!

﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ﴾ أي: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير مما أنتم فيه.

﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف»[٦].

وقال أبو السعود: «﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه الصلاة والسلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها»[٧].

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٥٠٢.
(٢) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ١٥٩.
(٣) معالم التنزيل ٣/ ٥٠٢.
(٤) البحر المحيط، أبو حيان٨/ ٢٣٦.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٠.
(٦) المصدر السابق ٦/ ١٩١.
(٧) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٦/ ٢٨٥.

ثم أردف استنكاره لفعلهم بالتهديد فقال عليه السلام: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

أي: ارجع أيها الرسول إلى بلقيس وقومها فو الله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها ولنخرجنهم من سبأ أذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين، وهم أسارى مهانون [١].

رجع رسول الملكة بلقيس، وأخبرها برد سليمان عليه السلام، فتجهزت للمسير إليه إذ علمت أنه نبي ولا طاقة لها بقتاله، وقبل خروجها أحرزت عرشها، وغلقت عليه أبوابها ووكلت به حراسا ليحفظوه [٢].

فلما علم سليمان عليه السلام بقدومها إليه، وخروجها من بلدها، وكان في مجلس ملكه قال: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨].

أي: قبل أن يأتوني طائعين مستسلمين، فإن قيل: كيف رد الهدية، وطلب إحضار عرشها ؟

فالجواب: أن النبي سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهبه الله له من الملك، وسخر له من الجنود، الذي لم يعطه أحد قبله، ولا يكون لأحد من بعده. وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه. هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة [٣].

فأجابه أحد جنوده من الجن: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩].

فأجابه رئيس من الجن مارد قوي: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك، وكان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس [٤].

وبين ما فيه من صفات تؤهله ليحظى بشرف خدمة نبيه سليمان عليه السلام، فقال: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩] ؛ أي: قوي على حمله، أمين على ما فيه من الجوهر [٥].

لكن سليمان عليه السلام قال: أريد أعجل من ذلك وأسرع [٦]، ولعله عرف أنها قد باتت قريبة، والوقت لا يحتمل التأخير، وهنا قال آخر: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ [النمل: ٤٠].

وهذا القائل رجل من الإنس يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا

(١) انظر: المصدر السابق ٦/ ٢٨٦.
(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٩٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٢.
(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ٦٦، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٢.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٢.
(٦) زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٣٦٣.

سئل به أعطي[1]: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

أي: ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك[2].

فلما عاين سليمان وملؤه ذلك، ورآه مستقرًّا عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠].

أي: هذا من نعم الله علي ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾ أي: ليختبرني، ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾.

وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أي: هو غني عن العباد وعبادتهم، كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد[3].

ثم أمرهم فقال: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١].

أي: غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته، سواء بالزيادة والنقصان منه أو جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه أو بتغيير الألوان[4].

والسبب في ذلك هو اختبارها: ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهِتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١].

أي: ننظر أتعرف عرشها بعد تنكيرها فتكون معرفتها سبباً لإيمانها - لأن الإتيان به يكون معجزة دالة على نبوة سليمان عليه السلام- أم لا ؟[5].

فلما جاءت بلقيس سليمان وقد كان العرش منكراً بين يديه[6]، ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢].

قال أبو حيان: «أي مثل هذا العرش الذي أنت رأيته عرشك الذي تركته ببلادك؟ ولم يأت التركيب: أهذا عرشك؟ جاء بأداة التشبيه، لئلا يكون ذلك تلقيناً لها.

ولما رأته على هيئة لا تعرفها فيه، وتميزت فيه أشياء من عرشها، لم تجزم بأنه هو، ولا نفته النفي البالغ، بل أبرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢] وذلك من جودة ذهنها، حيث لم تجزم في الصورة المحتملة بأحد الجائزين من كونه إياه أو من كونه ليس إياه، وقابلت تشبيههم بتشبيهها»[7].

وعندها قال سليمان عليه السلام: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

فهذا من تمام كلامه شكرًا لله على

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨٨٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٢.
(٣) المصدر السابق ٦/ ١٩٣.
(٤) معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٥٠٦.
(٥) انظر: الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٦٩، البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ٢٤٢، نظم الدرر، البقاعي ١٤/ ١٦٧.
(٦) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ٢٠١.
(٧) البحر المحيط، أبو حيان٨/ ٢٤٢.

فضلهم عليها، وسبقهم إلى العلم بالله وبالإسلام. ومعناه: وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته، وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها بذلك.

ثم بين الله تعالى سبب كفر هذه المرأة مع ما هي عليه من الفطنة والذكاء؛ فقال: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٤٣].

أي: عن الإسلام، وإلا فلها من الذكاء والفطنة ما به تعرف الحق من الباطل ؛ ولكن العقائد الباطلة تذهب بصيرة القلب ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

فاستمرت على دينهم، وانفراد الواحد عن أهل الدين والعادة المستمرة بأمر يراه بعقله من ضلالهم وخطئهم من أندر ما يكون؛ فلهذا لا يستغرب بقاؤها على الكفر(١).

وكان سليمان عليه السلام قد أمر الشياطين قبل قدومها أن يبنوا له قصراً من زجاج أبيض، وأجرى من تحته الماء، ووضع سريره في صدره، فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس، وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظامًا لأمره، وتحققًا لنبوته، وثباتًا على الدين(٢).

فلما جاءت دعاها لدخول هذا القصر، قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وعندها حسبت القصر لشدة صفاء الزجاج واتصال الماء بسطحه الأسفل غمرة عظيمة من ماء، فعزمت على خوضها إظهارًا لتمام الاستسلام، وكشفت عن ساقيها؛ لئلا تبتل ثيابها فتحتاج إلى تغييرها.

وهنا بين لها سليمان الحقيقة فقال: إنه قصر مملس، من زجاج ليتصف بشفوفة الماء فيظن أنه لا حائل دونه(٣).

والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة؛ ليريها عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله، تعالى، وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، فأسلمت لله عز وجل، وقالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [النمل: ٤٤].

أي: بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله، وقالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده، لا شريك له، الذي خلق كل

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٥.
(٢) الكشاف، الزمخشري ٣/ ٣٧٠.
(٣) انظر: نظم الدرر، البقاعي ١٤/ ١٧١.

شيء فقدره تقديراً[1]، ووصفته بربوبية العالمين لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس[2].

## شبهات حول سليمان عليه السلام

جاء في تفسير بعض الآيات الواردة عن سليمان عليه السلام أقوال تقدح في مقام هذا النبي الكريم، وشبهات تنقص من قدرة نعرض لها في النقاط الآتية:

### أولًا: إلقاء الجسد على كرسيه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[ص: ٣٥].

ونحن هنا سنعرض لأقوال المفسرين في هذه الآية، ونبين ما نراه صواباً وبالله المستعان، فيا ترى ما هو الجسد الذي ألقي على كرسي سليمان عليه السلام؟

ذكر المفسرون في هذا الجسد أقوالًا:

**الأول:** إن هذا الجسد شيطان تمثل بسليمان عليه السلام وغصبه ملكه[3].

**الثاني:** إنه ولد لسليمان ولد فاجتمعت الشياطين، فقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد، لم ننفكّ من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله، فعلم سليمان، فأمر السّحاب فحمله، وعدا ابنه في السّحاب خوفاً من الشياطين، فعاتبه الحقّ تعالى على تخوّفه من الشياطين، ومات الولد، فألقي على كرسيه ميتًا جسدًا[4].

**الثالث:** إن الجسد هو سليمان عليه

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩٧.
(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٦/ ٢٨٩.
(٣) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨٧.
(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٥٠٥.

السلام نفسه مرض سليمان مرضاً كالإغماء حتى صار على كرسيه جسداً كأنه بلا روح[١].

**الرابع**: إن الجسد المذكور هو نصف إنسان ولد لسليمان[٢].

إلا أن القول الأول باطل من أوجه:

**الوجه الأول**: الاضطراب في سياق رواياته فمن ذلك:

الاختلاف في اسم هذا الشيطان قال الطبري: «ولقد ابتلينا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا شيطانًا متمثلًا بإنسان، ذكروا أن اسمه صخر وقيل: إن اسمه آصف وقيل: إن اسمه أصر وقيل: إن اسمه حبقيق»[٣].

الاختلاف في سبب استيلاء هذا الشيطان على الخاتم على أقوال:

**الأول**: إن سليمان عليه السلام هو من أعطاه ذلك[٤].

**الثاني**: إن الشيطان تمثل بصورة سليمان عليه السلام، وجاء إلى امرأته فأخذ الخاتم[٥].

**الثالث**: إن سليمان عليه السلام طلب من هذا الشيطان أن يبين له كيف يفتن الناس؟ فطلب منه الشيطان أن يعطيه خاتمه لكي يعرفه بذلك، فدفعه له فرماه في البحر[٦].

**الرابع**: إن الخاتم سقط من سليمان عليه السلام في البحر فتسلط عليه الشيطان[٧].

**الوجه الثاني**: إنه ليس في جلوس الجن على الكرسي معنى الإلقاء إلا أن يتكلف.

**الوجه الثالث**: ما قاله القاضي عياض: «ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور، في حكمه ؛ لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله»[٨].

إذاً تبين مما سبق أن القول المشهور بين المفسرين لا يمكن أن يكون صواباً لما سبق، فالأقوال الأخرى فليس فيها ما هو مرفوع سوى القول بالاستثناء فيتعين أنه الصواب، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(قال سليمان بن داوود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلهن، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال:**

(١) البحر المحيط ٩/ ١٥٦.
(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٥٠٥، الكشاف، الزمخشري ٤/ ٩٣.
(٣) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨٧.
(٤) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨٨.
(٥) المصدر السابق ٢٠/ ٩١.
(٦) المصدر السابق ٢٠/ ٨٨.
(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٤٢.
(٨) الشفا، القاضي عياض ٢/ ٣٨١

إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرساناً أجمعون)[1].

وقد قال بهذا جمع من المفسرين كأبي حيان وأبي السعود وغيرهما[2].

## ثانيًا: مسح سوق الخيل وأعناقها:

قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ [ص: ٣١].

في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى أن سليمان عليه السلام عرض عليه في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات -وهي التي تقف على ثلاث أرجل وطرف حافر الرابعة- والجياد: السراع[3].

وفي عدد هذه الخيل المعروضة قولان للمفسرين:

**القول الأول:** إنها عشرون فرساً ذات أجنحة[4].

**القول الثاني:** إنها كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس، فعقرها[5].

ولكن سياق الآيات يدل على أن القول الثاني هو الأشبه بالصحة، وذلك لأن العرض استمر من العصر إلى غروب الشمس، قال: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾[ص: ٣١].

والعشي يبدأ من العصر، واستمر هذا العرض إلى غروب الشمس كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ وهذا وقت طويل يقتضي خيلاً كثيرة، ما يجعل عرضها يستغرق هذا الوقت؛ ولهذا قال الإمام ابن كثير: «وهذا أشبه»[6].

وقال تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[ص: ٣٢].

والمعنى: آثرت حب الخيل واشتغلت بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً[7].

ثم قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾[ص: ٣٣] أي: ردوا الخيل علي[8].

ثم بين سبحانه ما فعل سليمان عليه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، ٤/ ٢٢، رقم ٢٨١٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب الاستثناء، ٣/ ١٢٧٦، ١٦٥٤.

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٩/ ١٥٥، إرشاد العقل السليم، أبو السعود٧/ ٢٢٦.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨١، تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٤٣٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٦٤.

(٤) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٤١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٦٤.

(٧) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٤٣٩، زاد المسير، ابن الجوزي٣/ ٥٧٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/ ٦٥.

(٨) تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٤٤٠.

السلام بهذه الخيل، فقال: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾[ص: ٣٣].

وقد ذكر المفسرون هنا أقوالاً هي:

**الأول:** المراد أنه قطع عراقيبها وأعناقها، وهذا قول أكثر المفسرين(١).

**الثاني:** إن سليمان عليه السلام جعل يمسح عراقيبها وأعناقها بيده شفقة عليها.

**الثالث:** معناه أنه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة.

وقد اعترض أصحاب القول الأول على القول الثاني بقولهم: أيّ مناسبة بين شغلها إيّاه عن الصلاة وبين مسح أعرافها حبًّا لها؟!.

ورد الآخرون على القول الأول: بأنه فاسد إذ لا ذنب للحيوان، فكيف وجّه العقوبة إليه وقصد التّشفّي بقتله، وهذا يشبه فعل الجبّارين، لا فعل الأنبياء(٢).

والذي يبدو لي أن الصواب هو القول الثاني لما يلي:

**أولًا:** الأصل في اللغة أن المسح باليد، أما أن يراد به القطع فهو مجاز والحقيقة مقدمة(٣).

(١) تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٤٤٠.
وانظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨٦، معالم التنزيل، البغوي ٤/ ٦٨، زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٥٧٢.

(٢) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٣/ ٥٧٢.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٥/ ٣٢٢، تاج العروس، الزبيدي ٧/ ١٢٠.

**ثانيًا:** أنه قول ابن عباس نقله عنه ابن جرير وابن أبي حاتم(٤).

**ثالثًا:** ما قاله الطبري: «بأن نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يكن إن شاء الله ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها»(٥).

والله أعلم.

## ثالثًا: قول اليهود: إن سليمان كان ساحرًا:

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية قولين:

**الأول:** قالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل، يذكر سليمان مع الأنبياء، وإنما كان ساحراً يركب الريح. فأنزل الله عذر سليمان(٦).

**الثاني:** إن اليهود سألوا النبي- صلى الله عليه وسلم عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله: واتبعوا ما تتلوا الشياطين إلى آخر

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨٧، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٤١.

(٥) جامع البيان، الطبري ٢٠/ ٨٧.

(٦) انظر: المصدر السابق ٢/ ٣٢٧.

الآية[1].

إذن فاليهود عليهم لعنة الله يقولون: إن سليمان عليه السلام كان ساحرًا، فكيف ترد شبهتهم هذه؟

ترد هذه الشبهة من وجهين:

**الوجه الأول:** في قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾[البقرة: ١٠٢] تكذيب لمن زعم ذلك، وعبر عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفر، وأن من كان نبيًا كان معصومًا منه[2].

قال القرطبي: «قوله تعالى:﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾[البقرة: ١٠٢] تبرئة من الله لسليمان، ولم يتقدم في الآية أن أحدًا نسبه إلى الكفر، ولكن اليهود نسبته إلى السحر، ولكن لما كان السحر كفراً صار بمنزلة من نسبه إلى الكفر»[3].

**الوجه الثاني:** أن الله تعالى قد نص في كتابه أن سليمان عليه السلام نبي يوحى إليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [النساء: ١٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[الأنعام: ٨٤].

إلى أن قال:﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١/ ١٨٦.
(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي ١/ ٩٧، أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ٣٩.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢/ ٤٣.

## موت سليمان عليه السلام

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[سبأ: ١٤].

ذكر الله سبحانه وتعالى أنه سخر الجن لنبيه سليمان عليه السلام يستعملهم في أعمال سبق أن ذكرناها، وقبل موته كلفهم بإتمام بيت المقدس، وفي زمان عملهم جاءه الموت.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾ [سبأ: ١٤].

أي: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات[(١)]، فأخفى الله سبحانه وتعالى موته عنهم لسببين:

**الأول:** ليكملوا بناء المسجد الذي بدأ عملهم فيه؛ قال بعض المفسرين: كانت الجن تعمل لسليمان عليه السلام في بناء مسجد بيت المقدس؛ فقرب موت سليمان وقد بقي من العمل بقية، فقبض الله روح سليمان وهو متكئ على عصا، وكانوا يظنون أنه حي، ويجتهدون في العمل[(٢)].

**الثاني:** أن الجن كانوا يدعون علم الغيب بقوله: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[سبأ: ١٤].

(١) جامع البيان، الطبري ١٩/ ٢٣٧.
(٢) تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٣٢٢.

ولكن ما هو معنى: ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾[سبأ: ١٤]؟

يذكر المفسرون أقوالاً في بيان معناها:

**الأول:** إن معنى تبين: بان وظهر، فيكون المعنى: تبينت الجن للإنس أنهم لا يعلمون الغيب، بمعنى بان أمرهم وافتضحوا في ادعائهم الغيب.

**الثاني:** بمعنى علم وأدرك، فيكون معنى الآية علمت الجن وعرفوا أنهم لا يعلمون الغيب، والمقصود من هؤلاء جمهور الجن وعامتهم ،فقد كان رؤساؤهم وكبارهم يوهمونهم أنهم يعلمون الغيب فيصدقونهم[(٣)].

ومكث الجن في عملهم الشاق مدة طويلة قيل إنها سنة[(٤)]؛ إذ إن أكل الأرضة لعصاه يستغرق وقتًا طويلًا، وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾[سبأ: ١٤].

قال الطبري: «لم يدل الجن على موت سليمان إلا دابة الأرض وهي الأرضة وقعت في عصاه، التي كان متكئا عليها فأكلتها»[(٥)].

أما مدة حياته عليه السلام فقد كانت

(٣) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٣٢٤، معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٦٧٥، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٤١٢، البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ٥٣٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٥٠٣.
(٥) جامع البيان، الطبري ١٩/ ٢٣٧.

اثنتان وخمسون سنة، ملكه منها أربعون سنة، ذكر ذلك المؤرخون [1].

## تدبير سليمان عليه السلام لملكه

كان سليمان عليه السلام ملكاً نبياً ساس مملكته وفق شرع الله تعالى ، وقد أبان الله تعالى معالم سياسة هذا الملك العظيم والنبي الكريم في كتابه تعالى ، ويمكن أن نبين شيئًا من ذلك في النقاط الآتية:

### أولًا: السياسة الداخلية:

ظهرت سياسته في شأن المملكة الداخلي فيما يلي:

١ . بناء دور العبادة.

قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ [سبأ: ١٣].

وقد ورد عن أئمة التفسير أن المحاريب هي المساجد، ومما يحسن ذكره هنا أنه عليه السلام جدد بناء المسجد الأقصى ، فعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: **( قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: (المسجد الحرام) قال: قلت: ثم أي؟ قال (المسجد الأقصى) قلت: كم كان بينهما؟ قال: (أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه)** [2].

وعن عبد الله بن عمرو، عن رسول الله

(١) انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري ١/ ٥٠٣، قصص الأنبياء، ابن كثير ٢/ ٣١٤، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي١/ ١٤٥، تتمة المختصر في أخبار البشر، ابن الوردي ١/ ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، ٤/ ١٤٥، رقم ٣٣٦٦، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ١/ ٣٧٠، رقم ٥٢٠.

صلى الله عليه وسلم (أن سليمان بن داود، لما بنى مسجد بيت المقدس، سأل الله خلالاً ثلاثة: سأل الله حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ، من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه)[1]، ويجمع بين الحديثين بأن المراد من بناء سليمان عليه السلام لمسجد بيت المقدس تجديده لا ابتداء بنائه[2].

٢. صناعة أوعية الطعام لإطعام الرعية.

قال تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣]

٣. بناء البيوت والقصور.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [سبأ: ١٢].

وقد سبق بيان ذلك.

٤. استخراج اللؤلوء والجواهر من البحار.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾[الأنبياء: ٨٢].

٥. استخدام النحاس.

قال تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾[سبأ: ١٢].

٦. تخصيص مجلس لفض الخصومات.

قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]. ويحكم بالقرائن.

٧. تنفيذ العقوبات فيمن يستحقها.

والعصاة من رعيته لهم عقوبات متنوعة من التعذيب أو القتل أو الحبس والتقييد.

قال تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾[النمل: ٢١].

وقال: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص: ٣٨].

٨. إقامة العروض العسكرية.

قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾[ص: ٣١].

٩. توزيع الجنود وتصنيفهم.

قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل: ١٧].

وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً لأن في ذلك شفقة على الطائفتين، أما

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ١١/ ٢٢٠، رقم ٦٦٤٤، والنسائي في سننه، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى، ٢/ ٢٤، رقم ٦٩٣، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، ١/ ٤٥٢، رقم ١٤٠٨.
وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٤٢٠، رقم ٢٠٩٠.

(٢) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٦/ ٤٠٩.

الأوائل فمن جهة أن يستريحوا في الجملة بالوقوف عن السير، وأما الأواخر فمن جهة أن لا يجهدوا أنفسهم بسرعة السير[١].

١٠. تشجيع الجنود وبث فيهم روح المبادرة للقيام بالمهام.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨].

١١. شكر الله تعالى أمام الجنود؛ ليكون قدوة لهم في ذلك.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

فلما رآه مستقرًّا عنده جعل يشكر نعمة ربه بعبارة فيها تعليم للناس وهي عرضة للاقتداء بها والاقتباس منها[٢].

ويتفقد رعيته ليعرف الغائب من الحاضر ويعرف الضعيف وذا الحاجة.

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ [النمل: ٢٠].

أي: تعرف أحوال الطير تعرف الملك لمملكته، حسبما تقتضيه عناية الملك بمملكته، والاهتمام بكل جزء منها لا سيما الضعفاء منها[٣].

وفيه دلالة على تفقد الإمام أحوال رعيته والمحافظة عليهم[٤].

قال القرطبي: «في هذه الآية دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته، والمحافظة عليهم، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله، فكيف بعظام الملك، ويرحم الله عمر فإنه كان على سيرته، قال: لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسأل عنها عمر. فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان، وتضيع الرعية ويضيع الرعيان»[٥].

ويلحظ سيد قطب رحمه الله تعالى من هذا التفقد بعضاً من صفات سليمان عليه السلام فيقول: «كما ندرك من افتقاد سليمان لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم، فهو لم يغفل عن غيبة جندي من هذا الحشر الضخم من الجن والإنس والطير، الذي يجمع آخره على أوله كي لا يتفرق ويتتكث»[٦].

ويعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن وحينئذ يتعين أن يؤخذ الأمر بالحزم، كي لا تكون فوضى. فالأمر بعد سؤال الملك هذا السؤال لم يعد سرًّا.

وإذا لم يؤخذ بالحزم كان سابقة سيئة لبقية الجند، ومن ثم نجد سليمان الملك

(١) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٧٠.
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٢٦١.
(٣) البحر المديد، ابن عجيبة ٤/ ١٨٧.
(٤) البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ٢٢٣.
(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٣/ ١٧٨.
(٦) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٦٣٨.

الحازم يتهدد الجندي الغائب المخالف: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: ٢١].

ولكن سليمان ليس ملكًا جبارًا في الأرض، إنما هو نبي. وهو لم يسمع بعد حجة الهدهد الغائب، فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائياً قبل أن يسمع منه، ويتبين عذره.. ومن ثم تبرز سمة النبي العادل: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

أي: حجة قوية توضح عذره، وتنفي المؤاخذة عنه»[(١)].

وهو يعذر من يستحق العذر بعد أن يمتحن صدقه من كذبه، وقوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١].

أي: بعذر ظاهر[(٢)]، وفعل سليمان هذا بالهدهد إغلاظًا عن العاصين وعقابًا على إخلاله بنوبته ورتبته[(٣)].

قال القاسمي: «وأن في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧].

قبول الوالي عذر رعيته، ودرءه العقوبة عنهم، وامتحان صدقهم فيما اعتذروا به»[(٤)].

ويهتم بتنمية الزرع، وتربية الحيوان، ظهر هذا جلياً في حكمه في رعي الغنم للزرع.

(١) المصدر السابق.
(٢) تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٨٨.
(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٢٥٥.
(٤) محاسن التأويل، القاسمي ٧/ ٤٩٥.

قال سيد قطب: «ولكن حكم سليمان تضمن مع العدل البناء والتعمير، وجعل العدل دافعاً إلى البناء والتعمير. وهذا هو العدل الحي الإيجابي في صورته البانية الدافعة. وهو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء»[(٥)].

وهذه الحادثة وإن كانت في زمان أبيه داود عليه السلام، فلأن يكون مثل ذلك في زمان ملكه من باب أولى.

## ثانيًا: السياسة الخارجية:

نبين في هذا المطلب شيئاً من سياسته تجاه خارج مملكته، والتي نأخذ منها سلوكه مع مملكة سبأ على سبيل الأنموذج المحتذى، وتمثلت سياسته تجاهها فيما يلي:

١. المراسلة بمعنى إرسال الكتب مع رسوله؛ ليدعوهم إلى التوحيد. قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]؛ قال الألوسي: «وفي الآية دليل على جواز إرسال الكتب إلى المشركين من الإمام لإبلاغ الدعوة والدعاء إلى الإسلام»[(٦)]، وعلم رسوله سلوك الأدب مع من يرسله إليهم في قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾،

(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٣٨٩.
(٦) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٨٨.

قال السمعاني: «علم الهدهد أدب الدخول على الملوك يعني: إذا دخل الداخل على الملك ينبغي أن لا يقف، بل يذهب في الحال ثم يرجع ويطلب الجواب»(١)، ويختار الرسول المناسب الذي يعلم شيئاً من حال المرسل إليه.

٢. التهديد لهم إن لم يذعنوا، ويجيبوا لدعوته إياهم للإيمان، قال تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]. قال ابن عطية: «ثم توعدهم بالجنود والغلبة والإخراج أذلاء والمعنى إن لم يسلموا»(٢).

٣. تسيير الجيوش إليه إن لم ينفع معه التهديد، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ [النمل: ١٧] ؛ قال الألوسي: «والظاهر أن هذا الحشر ليس إلا جمع العساكر ليذهب بهم إلى محاربة من لم يدخل في ربقة طاعته عليه السلام»(٣).

٤. لا يقبل المساومة مع العدو على الدين، ولا تفتنه الرشوة وإغراء المال، قال تعالى: ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦]. قال سيد قطب: «وفي الرد استهزاء بالمال، واستنكار للاتجاه إليه في مجال غير مجاله. مجال العقيدة والدعوة»(٤). وقال ابن عاشور: «وقد أبى سليمان قبول الهدية ؛ لأن الملكة أرسلتها بعد بلوغ كتابه ولعلها سكتت عن الجواب عما تضمنه كتابه من قوله: وأتوني مسلمين، فتبين له قصدها من الهدية أن تصرفه عن محاولة ما تضمنه الكتاب، فكانت الهدية رشوة لتصرفه عن بث سلطانه على مملكة سبأ»(٥).

٥. يستخدم الحيلة ليتبين حال العدو ويعرف مدى عقله وإدراكه وهذا ظاهر من قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١]. قال الرازي: «أراد أن يؤتى بذلك العرش فيغير وينكر، ثم يعرض عليها حتى أنها هل تعرفه أو تنكره، والمقصود اختبار عقلها»(٦)، وقوله: ﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]. قال الألوسي: «ولم يقل: أهذا عرشك لئلا يكون تلقيناً لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض الإشكال والاشتباه حتى يتبين لديه عليه السلام حالها»(٧).

٦. الاستعانة في ما يريد تجاه العدو بالأتباع المؤهلين. قال تعالى: ﴿قَالَ

(١) تفسير القرآن، السمعاني ٤/ ٩٢.
(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/ ٢٥٩.
(٣) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ١٦٩.
(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب ٥/ ٢٦٤٠.
(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور١٩/ ٢٦٨.
(٦) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤/ ٥٥٦.
(٧) روح المعاني، الألوسي ١٠/ ٢٠١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]. قال أبو حيان: «فيه دليل على جواز الاستعانة ببعض الأتباع في مقاصد الملوك، ودليل على أنه قد يخص بعض أتباع الأنبياء بشيء لا يكون لغيرهم، ودليل على مبادرة من طلبه منه الملوك قضاء حاجة»[1].

## الهدايات المستفادة من قصة سليمان

١. العلم أعظم من المال ؛ ولهذا نوه الله تعالى بوراثة سليمان لعلم أبيه.
٢. قيد النعمة شكر الله تعالى عليها ونسبتها إليه.
٣. الملك بيد الله تعالى يهبه لمن يشاء من عباده.
٤. الرجوع إلى الله تعالى والإنابة إليه من أرقى مراتب العبودية.
٥. الاستغفار سبب للتعرض لنعم الله تعالى ومننه ؛ فسليمان عليه السلام يستغفر ثم يطلب الملك.
٦. الأصل في معرفة الله تعالى أن تكون على بصيرة ودليل، فالهدهد يستدل عليها بقدرة الله على إخراج الخبء في السموات والأرض، وبعلمه بالسر والعلن.
٧. العلم يرفع الصغير، ويجل به الحقير ويجعله يرافق العظماء، فالهدهد عصفور صغير، منتن الريح وبالعلم بالله ارتقى لأن يصاحب أعظم ملك ذكره الله في كتابه.
٨. شرف العلم بأسماء الله تعالى، ومنها الاسم الأعظم.
٩. اعتذرت النملة لسليمان وجنده، وبنو البشر أحق في أن يلتمس بعضهم

(١) البحر المحيط، أبو حيان ٨/ ٢٣٩.

لبعض الأعذار ما أمكن.

١٠. عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم ؛ لذلك قدّم سليمان عليه السلام الاستغفار على طلب الملك.

١١. الإغلاظ على العصاة المذنبين ليرتدع من خلفهم أمر مطلوب ولكن بعد سماع عذرهم إن كان لهم عذر.

١٢. الشورى مبدأ أصيل في الحكم، وبه يتوصل إلى الصواب بعكس التفرد بالرأي.

١٣. إرسال العيون للتعرف على أحوال العدو وما يدور عنده من سياسة الأنبياء.

١٤. للهدية تأثير في قلب من أهديت إليه وتجعله يرق له ويحبه [١].

**موضوعات ذات صلة:**

بنو إسرائيل، الجن، داود عليه السلام، الرياح، الطير

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ١٩١، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦٠٥.